أتكاسل عن الصلاة ، وخاصة في العمل ؛ لأن مشكلة الصلاة في الوضوء ، ومشكلتي في الوضوء غسل الرجلين .

وخاصة عند لابسي البنطال ، ومع وجود الأحواض العالية ، فيصعب عليه أن يرفع قدميه ، فيجد أهون ما عليه ، أن يترك الصلاة تكاسلاً ، فقلتُ له : البسهما على طهارة ثم امسح عليهما .

فهذا من التيسير ، ولماذا لا نيسِّر على النَّاس ، وقد يسَّر عليهم ربهم ، وما دام لنا في تيسيرنا أسوة وقدوة بمَن سبقونا .

فأنا أزعم أني لستُ متساهلا في الدين والحمد لله ، وإنما أنا مُيسِّر ، وهذا ما جاء به الإسلام . هذه هي التهمة الأولى ، وأظن أني منها بريء .

التهمة الثانية : الشيخ القرضاوي شيخ عصري أكثر منه سلفي :

أنا لا أرى تعارضا بين السلفية والمعاصرة ، بل على العكس ، فالسلفية تكون دائمًا مجدِّدة ، والتجديد يكون دائما سلفيًّا ، والمُجدِّدون هم الذين يدعون النَّاس إلى اتباع السلف ، وأكبر مدرسة تجديدية في التاريخ الإسلامي ، هي مدرسة شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وتلاميذهم .

هذه المدرسة مجدِّدة وسلفية ، وجاءت بالتيسير على النَّاس في مسائل كثيرة ، ويكفي ما جاء به ابن تيمية في مسائل الطلاق وغيرها ، الذي اعتبر من أجلها ابن تيمية خارجًا على المذاهب الأربعة ، وخارجا على الإجماع ، وامتُحن وابتُلي وسُجن ، بل ومات في السجن .

موقف الناس من ابن تيمية :

بعض النَّاس يظن أن ابن تيمية مات في السجن ، لأن حكَّام زمانه وقفوا ضدَّه ، وهذا غير صحيح ، فالحكَّام كانوا يحترمونه جدًّا ، ولكن الذي وقف ضدَّه هم علماء زمانه ، علماء التقليد والمذهبية والعصبية ، هم الذين أغروا به السلاطين حتى سجنوه . فابن تيمية كان مجدِّدا وكان سلفيًّا .

أكثر العصور تيسيرا هو عصر الصحابة :

وأنا أقول لكم : من خلال القراءة الطويلة لتراثنا ، والتعمُّق فيه ، رأيتُ أنَّ أكثر العصور تيسيرًا عصر الصحابة ، فهم أفقه النَّاس للإسلام ، وروح الإسلام ، ولذلك إذا نظرتَ إلى فقه عمر ، وفقه عائشة ، وفقه ابن مسعود ، وجميع الصحابة ، تجدهم ميسِّرين جدًّا ، وتلاميذهم قريبون منهم أيضا .

ثم ما جاء عصر بعد ذلك إلا وشدَّد ، وأخذ بالأحْوط ـ والأحوط يعني : التشديد ـ فلا تجد للإسلام يسرا ، ويصبح

الـدين مجموعـة أحوطيـات ، وإذا غلبـت الأحوطيـات غلـب التشدُّد .

ولم يكن عند المتأخرين الشجاعة التي كانت عند الصحابة ولذلك يأخذون بالأحوط دائمـا ، والأحـوط هـو أن يُشـدِّد ، والأحوط أن يُحرِّم ، والأحوط أن يمنع الرُّخص .

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم ، أكثر النَّاس تيسيرا ، فإذا قلنا : العودة إلى السلفية ، فالمقصود العودة إلى التيسير .

فإذا نظرتَ إلى المتأخرين تجـد عنـدهم تخـوُّف وتشـدُّد ، فيُخفون أشياء بقصد أن لا تُستعمل في غير موضـعها ، فمنـع بعضهم جواز الأخذ بالمصالح المرسلة ، قالوا : لأننا نخشى إن فتحنا هذا الباب أن يسير الحكَّام الظلمة فيـه إلى غـير مـدى ، ويعطِّلوا الشرع باسم المصلحة .

ونقرأ في كتب الفقه مثلا : جواز أخذ الحاكم ضـرائب مـن النَّاس ليقيم قناطر أو سدودا ، أو يحفر بئرا ، وغيرها ، فتجـد بعض هؤلاء الفقهاء يقول : وهذا أمر يُعْرف ولا يُعرَّف . أي : اعرفها ولا تُعلِّمها أحدًا حتى لا تُطغي أئمة الجور .

ولذلك لا أرى تعارضًا أبدًا بين السلفية والتجديد ، أو بـين السلفية والمعاصرة ، أنا سلفيٌّ عصـريٌّ ، ولا بـأس أن يعـيش الإنسـان فـي عصـره ، فليس العالـم الـذي يقـرأ فـي الكتـب ولا يقرأ الواقع ، ويعيش بين الماضي وينسى العصر .

مسألة خلق القرآن وقضايا العصر :

كنتُ مدعوًّا لطعام غداء في مرَّة من المرَّات ، وجاءت قضية خلق القرآن ، وسُئلتُ : هل القرآن مخلوق أم لا ؟ !

فقلت : لا يُثير عاقل مثل هذه القضيَّة في عصرنا ، لأنها ليست قضية عصرنا ، بل كانت قضية عصر تأثَّر بالفلسفات القديمة وغيرها ، أما القضية الآن : هل القرآن كتاب الله أو لا ؟ وفيه أحكام الله أو لا ؟ هل يصلُح أن يحكم الأمة ، أم تستطيع أن تحتكم إلى غيره ؟ !

هذه هي القضية ، وهذا هو المقصود بالعصريَّة ، أن أشغل النَّاس بقضايا عصري ، لا أن أثير قضايا عصور مضتْ لا يحتاج إليها النَّاس .

ومما يروى عن وهب بن منبِّه : في حكمة آل داود : حقٌّ على العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، حافظا للسانه ، مقبلا على شأنه[1] .

ومما يروى عن بعض السلف : رحم الله امرءًا عرَف زمانه ، واستقامت طريقتُه .

فالسلفية لا تنافي العصرية إطلاقا ، بل السلفية الحقيقية لا بدَّ أن تكون عصرية ، ولا يمكن أن ننسى أننا نعيش في

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣١) .

ظرفٍ معيَّن ، ووقتٍ معيَّن ، ونعرف مشكلات عصرنا ، وكيف نصف لها الحلول من داخل الإسلام ، وأيُّ فقيه أو داعية يغفل هذا ، يكون قد أخطأ خطأ فاحشًا .

التهمة الثالثة : القرضاوي يميل إلى التحليل أكثر منه إلى التحريم :

الحقيقة أن هذا ليس وصفًا لي أنا ، بل هو وصفٌ للإسلام ، فالإسلام هو الذي يميل إلى التحليل أكثر منه إلى التحريم ، ولذلك هناك قاعدة أصولية تقول : الأصل في الأشياء الإباحة[1] . فلا يصحُّ أبدًا أن تقول لي : عُدَّ المباحات في أمر كذا ، فأقول لك : لا أستطيع ، فكلُّ شيء مباح ، إلا ما حرَّمه الله ورسوله ، وورد نصٌّ بذلك .

فلا حرام إلا فيما جاء فيه نصٌّ صحيح الثبوت ، صريح الدلالة . وهذه المشكلة هي التي بيني وبين الكثيرين ، فبعضهم يأتي بنصوص غير صحيحة ، أو نصوص غير صريحة الدلالة على ما يريدون .

وأنا في الواقع أخاف من كلمة حرام ، فبعض النَّاس يستهينون بها ، وهي كلمة خطيرة ، أن تُحرِّم الحلال أو تُحلِّل الحرام ، والقرآن أنكر على الذين حرَّموا ما رزقهم الله افتراء

---

(١) البحر المحيط للزركشي (٢١٢/١) .

على الله ، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس:٥٩)، ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النحل:١١٦،١١٧)، فمسألة التحريم لا بدَّ فيها من نصٍّ ، نص ثابت وصريح ، وإلا كان أمرًا مجتهدًا ومختلفًا فيه ، قد يحكم فيه من ناحية الشبهة عند مَن قامت له الشبهة ، إنما إذا لم يأتِ الدليل فالأصل الإباحة .

هناك أناس يكثرون من كلمة : حرام . وهي أسهل الكلمات على ألسنتهم ، لكني لا أستطيع أن أحرِّم بغير دليل صحيح الثبوت صريح الدلالة ، لأن معنى حرام : أن هذا الفعل يعاقب الله فاعله بالنار . فكيف أتألَّى على الله وأقول : إن فاعل هذا في النار ، وتاركه في الجنة ، وليس عندي من الله برهان ؟ ! ويقولون عنِّي : متساهل بسبب هذا!

التهمة الرابعة : الشيخ القرضاوي يفتي على ما يريده النَّاس على حساب الشرع :

وهذا ليس صحيحا ، ولو أن الإنسان يُفتي بما يُريده النَّاس ، لزايَد في سوق التَّشْديد ، فالتشديد له سوق رائجة جدًّا ،

والمشددون يُطبَّل لهم ويُزمَّر ، لكن الميسِّرين لا يُعجبون هؤلاء أو هؤلاء ، وللأسف هناك من النَّاس مَن يشدِّد ليُرضِي النَّاس ، وأنا حقيقة أرجو أن أكون ممَّن يرضِي الله وحده ، فأنا لا يهمُّني أن أُرضِي زيدا أو عمروا ، وهيهات أن ترضي جميع الأذواق وجميع الميول ، وكما قال الشاعر :

ومَن في النَّاس يُرضي كلَّ نفس وبين هوى النفوس مدى بعيد

وقال آخر :

إذا رضيتْ عني كرامُ عشيرتي فلا زال غضبانًا عليَّ لئامها

فأنا لا أريد أبدا رِضَا فلان أو علان ، ولكن أهتمُّ بالدليل ، وأكون وراء الدليل ، وليس من حقِّ أحد من النَّاس أن يُلزمني برأيه هو ، وإذا لم أكن على رأيه أصير عدوًّا له ، ومخالفًا للمنهج الصحيح ، فمَن الذي جعل منك حَكَمًا ، حتى تُخَطِّئ الآخرين لأنهم خالفوك ؟ ! فهذه التهم ليست صحيحة .

بعض المسائل التي يستند عليها هؤلاء في تهمهم هذه :

وذكر السَّائل بعض المسائل التي يستند عليها هؤلاء في تهمهم هذه ، فسأذكرها وأردُّ عليها :

المسألة الأولى : القرضاوي يبيح زكاة الفطر نقدًا :

وماذا في هذا ؟ هذا رأي أبي حنيفة وأصحابه ، ورأي